المحاضرة الحادية عشر

المناهج النصانية في النقد الجزائري

ثالثا: المنهج الأسلوبي:

الأسلوبية في النقد العربي:

ظهرت في أواخر السبعينات ويعود الفضل الكبير في ذلك للباحث التونسي عبد السلام المسدي في كتابه "الأسلوب والأسلوبية"، كما نذكر أيضا محمد الهادي الطرابلسي وكتابه "خصائص الأسلوب في الشوقيات"، وكتابه "تحاليل أسلوبية".

الأسلوبية في النقد الجزائري:

ففي جانبها التنظيري نشير إلى مجموعة من المحاولات الأكاديمية من مثل بحث ماجستير للأستاذة آمنة علواش بعنوان "النظرية البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني والأسلوبية"، وأطروحة أخرى بعنوان "الأسلوبية في النقد العربي الحديث" للدكتور نورالدين السد.

أما في الجانب التطبيقي فنشير إلى كتاب "الألغاز الشعبية الجزائرية" لعبد المالك مرتاض، وكتاب "بناء الأسلوب في المقالة عند الابراهيمي" للأستاذ عبد الحميد بوزوينة، وكتاب "السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري" تناول فيه مرثية مالك بن الريب، إلى جانب "البنية اللغوية لبردة البوصيري" لرابح بوحوش.

رابعا: التفكيكية:

التفكيكية في الوطن العربي:

انتقلت التفكيكية الى الخطاب النقدي العربي بطريقة محتشمة ومتأخرة، حيث يرجع يوسف وغليسي بدايتها الى سنة 1985 وهو تاريخ اصدار أول عمل عربي يصرح بانتهاج التفكيكية للغذامي في كتابه "الخطيئة والتكفير– من البنيوية الى التشريحية"، وقد واجه هذا الغذامي إشكالا في ترجمة المصطلح الغربي قبل أن يستقر على مقابله العربي (التشريحية)، لأنه لم يجد أحدا من العرب قد تعرض لترجمته.

تختلف تشريحية الغذامي عن تشريحية دريدا فهو يبتعد عن النقض من أجل النقض ويقترب من منهج بارت الذي ينقض من أجل إعادة البناء. وبعيدا عن جهود الغذامي لا نعثر على دراسات عربية تفكيكية واضحة، إلا ما كان مغلفا بمفاهيم (نظرية القراءة) كما نجده عند حسين الواد في (القراءة والنصوص أو جدلية الحد والانعتاق) وكذا جهود فاضل ثامر في دراسته (من سلطة النص الى سلطة القراءة).

التفكيكية في الجزائر:

يعتبر عبد المالك مرتاض فارس النقد التفكيكي في الجزائر دون منازع، وقد بدأ تجربته مع هذا المنهج في نهاية الثمانينيات ويعد كتابه (ألف ليلة وليلة– تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد) أول دراسة تفكيكية له سنة 1986، وقد قام بنشره في العراق سنة 1989. أتبعه بعدد من الدراسات التي تنتهج نهجا مركبا بين السيميائية والتفكيكية مثل "أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة"، الذي ألفه سنة 1987 وقام بنشره سنة 1992، وكتاب "تحليل الخطاب السردي– معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق"، الذي ألفه سنة 1989 ونشره سنة 1995.

وبالبحث عن نماذج تفكيكية أخرى نجد أنها قليلة جدا منها ما كتبه الأستاذ الطاهر رواينية في مقاله "الكتابة وإشكالية المعنى قراءة في بنية التفكك في رواية تجربة في العشق للطاهر وطار"، حيث أفاد فيه من بعض المفاهيم التفكيكية (الكتابة، القراءة، التصدع السردي، التناص ...) التي أخذها من ميشال فوكو وبارت.

كما يمكن الإشارة الى عمل للشاعر عمر أزراج، قام فيه بترجمة نصوص تفكيكية من النقد الإنجليزي (ثلاثة نصوص حول مصطلح التفكيكية). بالإضافة الى دراسة للدكتور سليمان عشراتي بعنوان (التفكيكية وجذور الوعي التنظيري عند جاك دريدا) وهو عبارة عن دراسة نظرية.

المحاضرة الحادية عشر

المناهج النصانية في النقد الجزائري

خامسا:المنهج الموضوعاتي: thématique"

ظهر النقد الموضوعاتي في شكله المنتظم في فترة الستينيات بفرنسا بعد الجهود التي بذلها كل من جون بول ويبر (J P WEBER) و جون بيار ريشار J P) (RICHARD وقد تمخضت عن الفلسفة الظاهراتية بزعامة الألماني إيدموند هوسرل التي تتمحور حول معرفة العالم التي تتم بعد تحليل وعي الذات، فقد قامت هذه الفلسفة بقلب الفلسفة الديكارتية التي تجد الحل لمشكلة الوعي بالانطلاق من وعي الانسان بنفسه، ليصل بعدها إلى تحقيق وعيه بالعالم حسب مبدأ ديكارت "أنا أفكر، إذن أنا موجود" لتذهب إلى تأكيد "أن الوعي هو دائما وعي بشيء ما" بمعنى أن

وعي الإنسان بنفسه يمر أولا عن طريق وعيه للعالم. وقد قام النقاد الموضوعاتيون باستثمار هذا المبدأ من أدل بناء أدوات نقدية عملية توصلهم للكشف عن جمالية النص الأدبي.

يتداخل مفهوم الموضوعاتية مع مفهوم الموضوع والغرض، لذلك ينبغي التمييز بين هذه المفاهيم، فالموضوع يعبر عن فكرة احتماعية أو سياسية أو فلسفية، أو غيره، تقوم شخصيات فنية بتجسيدها في المجال الأدبي، ضمن إطار زماني ومكاني، في حين أن الموضوعاتية تفتقد هذه الحدود الواضحة التي تمكن من تصنيفها في مجال معين من مجالات الحياة الفكرية أو الاجتماعية، لذلك يعتير هذا المفهوم جد مستعصي حتى أن ج. ب. ويبر في بحثه "العالم التخيلي لمارميه" يصف هذا المنهج بأنه"لا وجود لما هو أكثر انفلاتا وإبهاما منه" ، بالإضافة إلى ضبابية مفهومها، فهي تفتقر إلى الاستقلال بأدواتها الإجرائية المنهجية، مما يحتم عليه البحث عن هذه الإجراءات ضمن أقاليم منهجية أخرى. لذلك بمكن أن نمبز بين توجهين أساسين:

الموضوعاتية البنيوية: وهو ينهل من ممارسات ج. ب. ريشار التي تتوجه توجها بنيويا واضحا التي تعتمد كثيرا على الإحصاء من أحل معرفة تفرعات الموضوع.

الموضوعاتية الجذرية: وهو اتجاه يستثمر خلفية علم النفس كما تجلى عند ج. ب. ويبر، الذي يعد الاصطلاح الموضوعاتي عنده "عبارة عن حدث ينتج من جراء صدمة تعود إلى شباب–إن لم مقل طفولة– الكاتب"، وبذلك فالموضوع/ الجذر بكون مستتر وراء أو يختلف عن الموضوع / الفكرة الظاهرة لذلك ينبغي تجاوز البنية السطحية للنص من أجل استبطانه في صورة عقدة موغلة في النص.

ورغم هذه الصعوبة والضبابية يمكن أن ننطلق من التعريف الذي يرى أن الموضوعاتية هي "دراسة التردد المستمر لفكرة ما، أو صورة ما، فيما يشبه لازمة أساسية وجوهرية، تتخذ شكل مبدأ تنظيمي ومحسوس أو ديناميكية داخلية، أو شيء ثابت، يسمح للعالم المصغر بالتشكل والامتداد في النص.

الموضوعاتية في الوطن العربي:

بدأت المحاولات الأولى التي خاضت هذا المجال مع بداية الثمانينيات، ولعل كتاب "الموضوعية البنيوية دراسة في شعر السياب" للدكتور عبد الكريم حسن هو فاتحتها، وهو عبارة عن رسالة دكتوراه ناقشها في السربون سنة 1980، أشرف عليها أندري ميكال وغريماس. وقد أنجز عدد من الرسائل والأطروحات الجامعية في نفس المنهج لكنها لم تنشر.

كما يذهب بعض الباحثين إلى الإشارة إلى بعض الممارسات العربية التي تتقاطع مع الموضوعاتية ومنها ما أشار له الدكتور حميد لحميداني من مماريات عند علي الراعي في كتابه "دراسات في الرواية المصرية" وغالي شكري في "المنتمي" وغيرهم لكن بدرجة أقل من مثل يوسف الشاروني، فؤاد دوارة، محمد مصايف...، غير أن الناقد بوسف وغليسي برى أن هذه المحاولات قد نسبت لهذا المنهج على سبيل التعسف، لأن بعضها كان قبل ظهور النقد الموضوعاتي حيث ظهر دراسات في الرواية المصرية" و"المنتمي" في سنة واحدة هي سنة 1964، وقد ذكر علي الراعي أنه كتب فصول كتابه بين 1956 و1962 حيث لم تعرف الموضوعاتية بعد ولم يكن يبسمع بها إلا الخاصة.

ومما يثبت حداثة التجربة العربية تضارب الدارسين حول ترجمة مصطلح "الموضوعاتية" فنجد عبد الكريم حسن فضل مصطلح "الموضوعية"، وسعيد علوش ينتصر لمصطلح "الموضوعاتي" كما نجده في كتابه "النقد الموضوعاتي" في حين استعمل مصطلح التيمة في كتاب سابق. ويستعمل البعض مصطلح "الظاهراتي/ الفينومينولوجي" كما عند الرويلي والبازغي في كتابيهما المشترك. في حبن يستعمل خلدون شمعة "الاتجاه الثيمي" حينا و"نقد الموضوع" حينا آخر، ويضيف لهما مصطلح ثالث هو "نثر الأبيات". بالإضافة إلى مصطلحات كثيرة ظهرت عند النقاد نذكر منها: الموضوعية، والجذرية، والمدارية...

الموضوعاتية في النقد الجزائري:

تعتبر التجربة في هذا المنهج حديثة في مجال النقد الجزائري لذلك لا نقف على محاولات كثيرة جادة وواضحة، ويرجع الباحث يوسف وغليسي هذا إلى أسباب مختلفة "منها أن الساحة العربية لا تزال حديثة العهد بالنقد الموضوعاتي، وأن تزامن ظهور هذا الاخير مع ظهور السيميائية قد قوض أركانه حتى في موطنه الأصلي، وأن لجوئه إلى استيطان الدراسات المقارنة قد ذوبه في مناهج أكبر وغيب ملامحه، لذلك كتن تأخره في الظهور عندنا تأخرا طبيعيا". ومن الجهود النقدية الجزائرية في هذا المنهج يمكن أن نشير إلى:

محمد مرتاض:"الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري": ويعتبر أول ممارسة نقدية تفصح عن انتمائها المنهجي الموضوعاتي من خلال مقدمة الكتاب، وقد انتقى المؤلف دراسة مدونة من شعر الأطفال الجزائري تتضمن أربع مجموعات شعرية: "الفرحة الخضراء" للغماري، "البراعم الندية" لمحمد ناصر، "حديث الفصول" لحرز الله بوزيد، "نسمات" ليحي مسعود. وقد قام برصد القصائد التي تنتمي لمحور واحد بناء

على توحد التيمات وبعد عدة مستويات من القراءة توصل إلى أن هذه الدواوين تشترك في اهتمامات بمكن اختزالها في:

-محبة الله والرسول، والتمسك بالدين الإسلامي.

-محبة الوطن وتخليد الثورة الشهداء.

-حب الطبيعة

-حب البيئة المدرسية وما في حكمها.

تناولت الدراسة في فصلها الأول المعنون ب: "الدراسة الموضوعية" دراسة تلك المحاور الأربعة، وفي فصلها الثاني تعرض للصورة الفنية وخصائصها في شعر الطفولة، بينما تطرقت في الفصل الثالث إلى خصائص الفضاء والزمن الأدبي. وقد أفاد الكاتب من إجراءات منهجية إحصائية وبنيوية، لكن إفادته من مرجعيات النقد الموضوعاتي كانت محدودة جدا ولا تكاد تذكر.

عبد المجيد حنون: "صورة الفرنسي في الرواية المغربية": وقد حاولت الدراسة تتبع موضوع "صورة الفرنسي" في عدة روايات مغاربية ثم تفريعه إلى صور موضوعاتية أو تجليات جزئية للصورة / الموضوع (الحاكم، الجندي، رجل الأمن، رجل الدين، المعمر، التاجر...) وهب مادة قابلة أن تدرج ضمن النطاق المنهجي الموضوعاتي، غير أن انتماء البحث إلى الدراسات المقارنة، وسيطرت الممارسة المفارنة والتاريخية قد حال دون أن تكون هذه الدراسة موضوعاتية خالصة.

عبد المالك مرتاض: "القصة الجزائرية المعاصرة": وهي دراسة تتقاطع مع النقد الموضوعاتي في قسمها الأول الموسوم ب: "في مضمون القصة الجزائرية المعاصرة" وهو ينقسم إلى فصلين أحدهما للمضمون الاجتماعي والآخر للمضمون الوطني انطلاقا من سبع مجموعات قصصية.

محمد السعيد عبدلي: "المنهج الموضوعاتي: أسسه وإجراءاته": وهو عبارة عن إحاطة نظرية تتعلق بالمنهج، قسمه صاحبه إلى ثلاث فصول: الأول: الأسس والمفاهيم، الفصل الثاني: تناول فيه المنهج عند جورج بولي، جان بيار ريشار، ثم مفهوم الموضوعاتية من خلال العناصر الأربعة: النواة، الإحساس، التمفصل، القرابة السرية. ثم أدوات المنهج: الحلولية، حرية المدخل، القراءة المصغرة، التكرار، ثم تناول الموضوعاتية عند جان بول ويبر. أما الفصل الثالث فيعرض لمنطلق النقد الموضوعاتي ومجاله، فالمنطلق من حيث: التأويل، والعنونة. أما مجال النقد الموضوعاتي: التحليل النفسي، والجزئية. والكتاب محاولة طيبة في جو يفتقر فيه السياق النقدي الجزائري إلى مثل هذه المرجعيات التنظيرية.

سادسا: النقد الإحصائي في الممارسة النقدية الجزائرية

مفهوم النقد الاحصائي:

يعتبر الإحصاء "منهاج علمي وليس منهاج فلسفي" يعتمد على دراسة ظاهرة أو مجموع ظواهر بعد تتبع واقعها وجمع المعلومات عنها. وقد تغلغل الإحصاء داخل مختلف الدراسات الإنسانية نتيجة ذلك التبادل بين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية، وقد وجد لنفسه موطنا طيبا في مجال دراسة الظاهرة الأدبية. لذلك يصبح النص في ضوئه "مجتمعا إحصائيا، كما يقول الإحصائيون، يقوم الناقد بتصنيفه إلى عينات تشمل كل عينة ظاهرة فنية معينة، يسعى إلى رصدها إحصائيا، بحساب نسب تواترها، ومقارنتها بنسب أخرى في إطار العينة نفسها، أن شاء ذلك، ويمكنه الاستعانة –حينها– بالجداول والرسوم البيانية". ليأتي بعدها دور التفسير والتحليل الذي يختلف عن الإحصاء.

وهذا ما جعل الناقد يوسف وغليسي يذهب إلى القول بعدم وجود منهج إحصائي في النقد على خلاف ما يذهب إليه الكثيرون، "إن الإحصاء في رأيي ليس أكثر من إجراء منهجي يقع داخل المنهج الواحد، وبمكن أن يستعين به أي منهج، لكن وجوده ينتهي عند بداية المنهج الأكبر، فهو –إذا تسامحنا أكثر – مجرد "منهج مساعد"، شأنه في ذك شأن "منهج تحليل المحتوى" في الدراسات السيكولوجية والسوسيولوجية، لأنه يفتقر إلى عامل الاستقلالية، ويفتقر إلى الروح الأنطولوجية المهيمنة على الظاهرة الأدبية، مثلما بعجز عن الاختراق الشامل للبنية النصية".

المنهج الاحصائي في النقد العربي: ظهرت يعض الممارسات التي استعانت بالإحصاء في الوطن العربي خلال فترة السبعينيات، لكنها محاولات جزئية نذكر منها كتاب "في الادب العربي الحديث" لعبد القادر القط، وكتاب اللغة والدلالة في الشعر" لعلي عزت الذي تناول أشعار السياب وعبد الصبور وفق رؤية لغوية تعتمد بشكل واضح على الإحصاء.

لقد عاش المنهج الإحصائي فترة من الكساد والتراجع في النقد العربي، ما جعل أحد الدارسين بقول بأنه" توقف –أو كاد يتوقف– المنهج الاحصائي في بدتية طريقه، سواء في النقد العربي المعاصر أو في النقد الغربي"، لكنه عاد إلى الساحة واكتسحها بقوة مع اكتساح النقد الألسني للساحة النقدية العالمية والمحلية.

المنهج الاحصائي في النقد الجزائري:

يمكن اعتبار تجربة عبد المالك مرتاض من أكثر التجارب النقدية كثافة في الممارسة النقدية الجزائرية، كما أن اهتمامه بالإجراء الاحصائي قد حضي بمساحة معتبرة في مختلف دراساته ومقارباته التطبيقية، لأنه يؤمن بأن الإحصاء هو "الأداة الأولى للمعرفة الألسنية" فحتى إن وقعت بعض المغالطات نتيجة هذا الاجراء إلا أنها تبقى مغالطات أهون بكثير من تلك التي أكون جراء الأهواء الشخصية والانطباع القائم على تمثلات ذاتية لا أساس لها من الصحة.

ومن الدراسات النقدية التي اعتمدت على الإحصاء أيضا نجد كتاب "البنية اللغوية لبردة البوصيري" للأستاذ رابح بوحوش وهي دراسة أسلوبية لكنها تعتمد وبشكل كبير على الإحصاء ما يجعل من الإحصاء آلية منهجية تخدم مختلف المناهج وتسهم في دراسة ظواهر كثيرة.

كما يمكن الإشارة إلى دراسة أخرى سبق ذكرها عند الحديث عن المنهج الموضوعاتي وهي "صورة الفرنسي في الرواية المغربية للأستاذ عبد المجيد حنون التي اعتمدت الإحصاء لدراسة حضور كل نموذج، واستخلاص أهميته من خلال مدى حضوره في الروايات المدروسة.

كما لا يمكن إغفال جهود محمد ناصر في هذا المجال وقد اعتمدها الناقد يوسف وغليسي من أجل البحث في سلبيات وإيجابيات الطريقة الإحصائية، وهو يصف جهوده في كتاب "الشعر الجزائري الحديث –اتجاهاته وخصائصه الفنية" بأنها تعاملت مع الإحصاء بوعي كبير، وقد استفاد منه لاسيما في الفصل الأول "التشكيل الموسيقي وتطوره" حيث قام بإحصاء عدد الأبيات لكل بحر شعري في الدواوين الشعرية المدروسة، ليقوم باستخراج النسب المئوية لكل بحر في كل ديوان، ثم جمع هذه النسب للوصول إلى نتيجة عامة مفادها أن البحر الكامل هو أكثرها استعمالا.

لكن هذا العمل لا يخلو كذلك من سلبيات منها الوقوع في أخطاء إحصائية، واقصاء يعض المجموعات الشعرية من الإحصاء رغم اعتمادها ضمن مدونة البحث.

مراجع الدرس:

محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي: أسسه وإجراءاته

-يوسف وغليسي، النقد الجزائري من اللانسونية إلى الالسنية.

-عمار بن زايد، النقد الادبي الجزائري الحديث.